التحليل في النحو
ومواقف النحاة منه

بقلم

الدكتور/ أبو المجد علي عمارة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

وبعد ..

فالعلل النحوية هي الأسباب الداعية إلى الأحكام ، والوسيلة لاستقرارها في الأذهان ، وتمكينها في الأفهام ، وبها يتدرب المتعلم ويقوي المبتدئ ، وتخضع الظاهرات لقواعد العلم وأحكامه ، فالعلة تساند النحاة على استنباط قواعدهم ، وبناء أصولهم ، وهذا ما يدعونا إلى القول بأن التعليل جاء مرافقاً للحكم النحوي منذ وجد ، إذ من طبيعة الإنسان أن يسأل عن السبب ، ويستقصي العلة ، ومن طبيعة العقل أن يتتبع الجزئيات ، ويجمع ما تشابه منها ليطلق عليها حكمًا عامًا ، فيصل بالظاهرة إلى القاعدة العلمية (١) .

وكتاب سيبويه وهو أقدم أثر نحوي وصل إلينا كان كتاب نحو وقياس وعلة ، وكانت تعليلاته تدور حول حمل النظير على نظيره ، وقياس الشبيه بشبيهه معتمدًا في ذلك على ما وقر في نفسه من ذوق العرب ورهافة حسهم بعيدًا عن جدل المتكلمين وهرطقة المتفلسفين .

وهناك تعليلات لإمام النحاة وشيخهم مبثوثة في كتابه كتعليله لعدم دخول الجزم في الأسماء بقوله :

---

١١) انظر : النحو العربي . العلة النحوية : نشأتها وتطورها للدكتور مازن المبارك ص٥١ .

" ليس في الأسماء جزم ، لأنَّ المجرور داخلٌ في المضاف إليه معاقبٌ للتنوين ، وليس ذلك في هذه الأفعال ، وإنما ضارعتْ أسماء الفاعلين أنّك تقول : إنَّ عبَد الله ليفعلُ ، فيوافقُ قولك : لفاعل " (١).

وتعليله لنصب جمع المؤنث السالم بالكسرة بقوله :

" ومن ثَمَّ جعلوا تاء الجمع في الجر والنصب مكسورة لأنهم جعلوا التاء التي هي حرف الإعراب كالواو، والياء ، والتنوين بمنزلة النون ، لأنها في التأنيث نظيرة الواو، والياء في التذكير فأجروها مجراها " (٢) .

وعلل لثقل الفعل وخفة الاسم بقوله :

" ألا ترى أن الفعل لابد له من الاسم وإلاَّ لم يكن كلاماً ، والاسم قد يستغنى عن الفعل تقول : اللهُ إلهُنا ، وعبدُ الله أخونا " (٣) .

هذه أمثلة لتعليلات سيبويه في كتابه ، وقبل سيبويه كان هناك من يقول بالقياس ، واستخراج مسائل النحو وتعليله ، بل كان فيهم من بلغ الغاية في القياس والتعليل كعبد الله بن إسحاق الحضرمي (ت ١١٧هـ) الذي قال عنه ابن سلام :

" عبد الله بن إسحاق الحضرمي كان أول من بعج النحو ، ومدَّ القياس والعلل " (٤) .

---

(١) انظر : الكتاب ١٤/١ بتحقيق هارون .

(٢) انظر : الكتاب ١٨/١ بتحقيق هارون .

(٣) انظر : الكتاب ٢١/١ بتحقيق هارون .

(٤) انظر : طبقات الشعراء ص٦ ، وطبقات الزبيدي ص٢٦ .

وقال عنه ابن سلام أيضاً :

" قلت أنا ليونس : هل سمعت من ابن أبي إسحاق شيئاً ؟ قال : نعم ، قلت له : هل يقول أحد " الصويق " – بالصاد – ؟ قال : نعم عمرو بن تميم تقولها ، وما تريد إلى هذا ؟ عليك بباب من النحو يطرد وينقاس " (١) .

وروى ابن الأنباري : أنَّ عبد الله بن إسحاق الحضرمي أول من علل النحو (٢) وكانت العلة يومئذ قريبة من روح اللغة بعيدة عن التخيل والجدل والفلسفة ومن الرواد الأوائل الذين وضعوا الكثير من علل النحو : الخليل بن أحمد الفراهيدي فقد ذكر الزجاجي قوله :

" ذكر بعض شيوخنا أن الخليل بن أحمد – رحمه الله – سئل عن العلل التي يعتل بها في النحو، فقيل له : عن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك ؟ فقال : إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها ، وعرفت مواقع كلامها ، وقام في عقولها علله ، وإن لم ينقل ذلك عنها، واعتللت أنا بما عندي أنه علة لما عللت منه ، فإن أكن أصبت فهو الذي التمست ، وإن تكن هناك علة له فمثلي في ذلك مثل رجل حكيم دخل داراً محكمة البناء عجيبة النظم والأقسام ، وقد صحَّت عنده حكمة باينها بالخبر الصادق، أو بالبراهين الواضحة ، والحجج الملائمة ، فكلما وقف هذا الرجل في الدار على شئ منها قال : إنما فعل هذا هكذا

---

(١) انظر : طبقات الزبيدي ص٢٦ .

(٢) انظر : نزهة الألباء ص٢٣ .

لعلة كذا وكذا ، ولسبب كذا وكذا سنحت له ، وخطرت بباله محتملة لذلك ، فجائز أن يكون الحكيم الباني للدار فعل ذلك للعلة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار، وجائز أن يكون فعله لغير تلك العلة ؛ إلا أن ذلك مما ذكره الرجل محتمل أن يكون علة لذلك ، فإن سنح لغيري علة لما عللته من النحو هي أليق بالمعلول فليأت بها " (١) .

وقد خرج علينا بحث تحت عنوان : ((**التعليل النحوي وموقف النحاة منه**)) نشر في مجلة كلية اللغة العربية جامعة الأزهر – فرع أسيوط – العدد السابع عشر ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م ، ويقع البحث في ثلاث وعشرين صفحة من ص٣٤٣ إلى صفحة ٣٦٥ للدكتورة/ مها بنت عبد العزيز العسكر الأستاذ المساعد بكلية التربية للبنات بمنطقة الرياض .

ادعت فيه الباحثة أن التأليف المستقل في العلة لم ينل حظاً وافراً لدى العلماء ، إنما ذكر في الغالب ضمن مبحث أو مباحث من مؤلفات أصول النحو، أو نشأة النحو وتاريخه (٢)، مما جعلها تهب لتنفض عن العلة الغبار، وتميط عنها اللثام ، وتلقي أضواء العلم والمعرفة عليها حتى تنجلي للباحثين ، وتتضح للدارسين ، وأن العلة النحوية على يديها سيكون لها حظ وافر لم يكن لها قبل هذا البحث ، وكأنها بذلك تلغي المؤلفات السابقة التي أفردت العلة بالتأليف ، وتضرب بها

---

(١) انظر : إيضاح علل النحو للزجاجي . تحقيق د/ مازن المبارك ص٦٥ – ٦٦ .

(٢) انظر : ص٣٤٤ من مجلة كلية اللغة العربية – فرع أسيوط – العدد السابع عشر .

عُرض الحائط ككتاب " العلل في النحو " لمحمد بن المستنير المعروف بـــ " قطرب " [١] (ت ٢٠٦هـــ) ، وكتاب " علل النحو " للمازني (ت ٢٣٠ أو ٢٤٨هـــ) وأين الباحثة من كتاب " الإيضاح في علل النحو " للزجاجي (ت ٣٣٧هـــ) والذي أحالت إليه الباحثة في سبعة مواضع من بحثها [٢] .

بل أين الباحثة من كتاب " النحو العربي – العلة النحوية : نشأتها وتطورها " للدكتور/ مازن المبارك [٣]، والذي أحالت إليه الباحثة في أربعة مواضع من بحثها ، وأغلب الظن أنها اصطحبته كثيراً طيلة رحلة بحثها المزعوم فنقلت منه نصوصاً كثيرة أشارت في الحاشية إلى القليل منها [٤]، وأغفلت ذكر الكثير من هذه النقول ، وسأوردها موثقة بالصفحات :

(١) عند تعريف العلة اصطلاحاً ذكر أنها : الوصف الذي يكون مظنة وجه الحكمة في اتخاذ الحكم ، أو هي : الأمر الذي يزعم النحويون أن العرب لاحظته حين اختارت في كلامها وجها معيناً من التعبير والصياغة " [٥] .

---

(١) انظر : الفهرست ص٥٣ ، ومعجم الأدباء ١٥٣/١٩ .

(٢) انظر : تعليق ٧، ٤٥، ٦٠، ٨٣، ٨٩، ٩٧، ٩٨ من ثبت المصادر والمراجع للباحثة .

(٣) ط. دار الفكر ببيروت – الطبعة الثالثة ١٤٠١هـــ / ١٩٨١م .

(٤) انظر : تعليق ٦ ص٣٤٤، وتعليق ٣٤ ص٣٥١، وتعليق ٣٨ ص٣٥١، وتعليق ٥١ ص٣٥٣ من مجلة اللغة العربية – فرع أسيوط – العدد السابع عشر .

(٥) انظر : ص٣٤٤ من مجلة اللغة العربية – فرع أسيوط – العدد السابع عشر .

وما ذكرته الباحثة هو عين ما ذكره الدكتور/ مازن المبارك [١] ، وقد أحالت إليه الباحثة في الحاشية [٢] .

(٢) عند الحديث عن نشأة العلة أوضحت أن نشأة العلة جاءت فطرية بلا تكلف أو تصنع ، فكانت وليدة قرائحهم ، ونتاج طبائعهم مستدلة على قولها بقول الخليل بن أحمد عندما سئل عن العلة التي يعتل بها في النحو : أعن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك ؟ فقال : " إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها ، وعرفت مواقع كلامها ، وقام في عقولها علله وإن لم ينقل ذلك عنها ، واعتللت أنا بما عندي أنه علة لما عللت منه ، فإن أكن أصبت العلة فهو الذي التمست، وإن تكن هناك علة له فمثلي في ذلك مثل رجل حكيم دخل داراً محكمة البناء عجيبة النظم والأقسام ، وقد صحَّت عنده حكمة باينها بالخبر الصادق، أو بالبراهين الواضحة ، والحجج الملائمة ، فكلما وقف هذا الرجل في الدار على شئ منها قال : إنما فعل هذا هكذا لعلة كذا وكذا ، ولسبب كذا وكذا سنحت له ، وخطرت بباله محتملة لذلك ، فجائز أن يكون الحكيم الباني للدار فعل ذلك للعلة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار، وجائز أن يكون فعله لغير تلك العلة ؛ إلا أن ذلك مما ذكره الرجل محتمل أن يكون علة لذلك ، فإن سنح لغيري علة لما عللته من النحو هي أليق بالمعلول فليأت بها " [٣] .

---

(١) انظر : النحو العربي للدكتور/ مازن المبارك ص٩٠ .

(٢) انظر : تعليق ٦ ص٣٤٤ .

(٣) انظر : ص٣٤٥ من مجلة كلية اللغة العربية – العدد السابع عشر . .

وما ذكرته الباحثة هو نص ما ذكره الدكتور/ مازن المبارك في موضعين من كتابه [١]، وأحال – بعد نقله هذا القول عند الخليل – إلى كتاب " الإيضاح في علل النحو " ص٦٥ – ٦٦ .

ولم تفعل الباحثة شيئاً سوى إحالتها إلى الكتاب نفسه الذي أحال إليه الدكتور/ مازن المبارك [٢] .

(٣) ذكرت الباحثة أن " العلل النحوية في مراحلها الأولى كان يحكمها ذوق العرب ومراعاة المعنى بعيدة عن الفلسفة والمنطق، تفيد الناطقين بالعربية وتوافق الغاية من النحو، واستقراء كلام العرب ، وذلك للوقوف على الغرض الذي قصده المبتدئون بهذه اللغة ، وتوخي وجه الحكمة والصواب فيها للوصول إلى ما يتفق مع واقعها .

وقد كان التعليل في بدايته مباشراً ، وهو يشكل أصلاً أساسياً من أصول البحث النحوي عندهم " [٣] .

هذا نص ما ذكرته الباحثة ، وهو ما أشار إليه الدكتور/ مازن المبارك في أكثر من موضع في كتابه " النحو العربي " [٤]، ولم تنسبه الباحثة ، وإنما عمدت إلى مرجع آخر حديث هو :

" النحو العربي والدرس الحديث للدكتور/ عبده الراجحي " [٥] .

---

(١) انظر : النحو العربي للدكتور/ مازن المبارك ص٥٩ ، ٨٨ .

(٢) انظر : تعليق ٧ ص٣٤٥ من مجلة كلية اللغة العربية – فرع أسيوط – .

(٣) انظر : ص٣٤٦ من مجلة كلية اللغة العربية – فرع أسيو ط .

(٤) انظر : النحو العربي للدكتور/ مازن المبارك ص٥٧ ، ٦٩ .

(٥) انظر : تعليق ١٠ من ص٣٤٦ من مجلة كلية اللغة العربية – فرع أسيوط .

(٤) ذكرت الباحثة قول سيبويه :

" وليس شئ يضطرون إليه إلاَّ وهم يحاولون به وجها "

وعقبت على ذلك بذكر تعليق ابن جني على نص سيبويه بقوله : " وهذا أصل يدعو إلى البحث عن علل ما استكرهوا عليه . نعم ويأخذ بيدك ما وراء ذلك ، فتسضئ به ، وتستمد التنبه على الأسباب المطلوبات منه " [١] .

وما أوردته الباحثة هو نص ما ذكره الدكتور/ مازن المبارك حيث أورد قولي سيبويه ، وابن جني، وأحال إلى كتاب سيبويه ٣٢/١، والخصائص لابن جني ٥٣/١ – ٥٤ .

ولم تزد الباحثة شيئاً على ما أورده الدكتور/ مازن المبارك ، فقد أحالت إلى المصدرين اللذين أحال إليهما ، وأغفلت تماماً ذكر كتاب " النحو العربي " للدكتور/ مازن المبارك الذي نقلت عنه [٢] .

(٥) ذكرت الباحثة قولها : أنَّ العلة فيما بعد القرن الثالث أصبحت ذات صيغة فلسفية لأن فكرتها في الأصل مستمدة من التفكير الفلسفي وهي أحد مظاهر تأثر النحو بالمنطق وغيره من العلوم العقلية [٣] .

وما ذكرته الباحثة هو ما أشار إليه الدكتور/ مازن المبارك في أكثر من موضع من كتابه [٤]، ولم تنسبه إليه الباحثة ، وإنما أحالت

---

(١) انظر : ص٣٤٦ – ٣٤٧ من مجلة كلية اللغة العربية – فرع أسيوط .

(٢) انظر : تعليق ١٢ ص٣٤٦، وتعليق ١٣ ص٣٤٧ من مجلة كلية اللغة العربية .

(٣) انظر : ص٣٤٧ من مجلة كلية اللغة العربية .

(٤) انظر : النحو العربي للدكتور/ مازن المبارك ص٩٨، ١٢٩ .

إلى كتاب " لمع الأدلة " لأبي البركات الأنباري [١] .

والكلام الذي ذكرته الباحثة غير موجود بكتاب " لمع الأدلة " والذي أحالت إليه في الحاشية ، وجُلُّ ما ذكرته الباحثة مأخوذ عن كتاب " النحو العربي " للدكتور/ مازن المبارك ، ولم تنسبه إليه [٢] .

(٦) ذكرت الباحثة أن القياس هو : عملية منطقية سايرت النحو منذ نشأته الأولى، وهو محور المنطق في النحو العربي [٣] .

وما ذكرته الباحثة هو ما أورده الدكتور/ مازن المبارك [٤] ، ولم تنسبه إليه ، ولم تشر إليه من قريب أو بعيد .

(٧) عند حديث الباحثة عن تأثر النحو بعلوم عصره خاصة الفقه استشهدت على صحة زعمها بما ذكره أبو عمر الجرمي من أنه منذ ثلاثين سنة ، وهو يفتي الناس في الفقه من كتاب سيبويه [٥] .

وما أوردته الباحثة هو ما ذكره الدكتور/ مازن المبارك في أكثر من موضع من كتابه [٦]، ولم تنسبه إليه الباحثة ، وإنما أحالت في الحاشية إلى كتاب في التراجم هو كتاب " طبقات النحويين واللغويين " لأبي بكر الزبيدي [٧] .

---

(١) بتحقيق د/ سعيد الأفغاني – ط. الجامعة السورية بدمشق ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م .
(٢) انظر : تعليق ١٤ ص٣٤٧ من مجلة كلية اللغة العربية .
(٣) انظر : ص٣٤٧ من مجلة كلية اللغة العربية .
(٤) انظر : النحو العربي د/ مازن المبارك ص٧٤ – ٧٥ .
(٥) انظر : ص٣٤٧ من مجلة كلية اللغة العربية .
(٦) انظر : النحو العربي ص٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٣، ٩٢، ٩٣، ١٢٩ .
(٧) انظر : تعليق ١٥ ص٣٤٧ من مجلة كلية اللغة العربية .

(٨) أوردت الباحثة قولها :

" وهكذا كثرت آراء العلماء ، وتفرعت تبعاً لاختلاف مذاهبهم ، فمنهم من غلب عليه الفقه ، ومنهم من غلبت عليه الفلسفة ، أو علم الكلام والمنطق فتعمقوا في العلل ، وغاصوا في البحث عن دقائقها ، فأفسدها ذلك وبُعد بها عن الغرض منها حتى غدت علل النحويين قريبة من علل المتكلمين " (١) .

وما أوردته الباحثة هو ما ذكره الدكتور/ مازن المبارك (٢)، ولم تنسبه إليه الباحثة ، وهو منهج معيب في البحث لانتفاء الأمانة العلمية في التحقيق والتوثيق .

(٩) عند حديث الباحثة عن الفرق بين علل النحويين ، وعلل المتكلمين أوردت نص ابن جني القائل :

" أعلم أن علل النحويين أقرب إلى علل المتكلمين منها إلى علل المتفقهين وذلك أنهم إنما يحيلون على الحس ، ويحتجون فيه بثقل الحال أو خفقها على النفس ، وليس كذلك حديث علل الفقه ، وذلك أنها إنما هي أعلام وأمارات لوقوع الأحكام ، ووجوه الحكمة فيها خفية عنا غير بادية الصفحة لنا " (٣) .

وما ذكرته الباحثة هنا هو ما ذكره الدكتور/ مازن المبارك الذي عقد لذلك مبحثا خاصاً في كتابه جعله تحت عنوان: " أثر الفقه والكلام

---

(١) انظر : ص٣٤٧ من مجلة كلية اللغة العربية .

(٢) انظر : النحو العربي د/ مازن المبارك ص٥ ، ٦ .

(٣) انظر : ص٣٤٨ من مجلة كلية اللغة العربية .

في النحو " [١]، ولكن الباحثة كعادتها غضت الطرف عن هذا كله ، وأحالت إلى كتاب الخصائص لابن جني [٢] وهو الذي أحال إليه أيضاً الدكتور/ مازن المبارك ، وكأنها بذلك لم تطلع على ما كتبه الدكتور/ مازن المبارك مما يقدح في بحثها إذ طبيعة الأبحاث العلمية أن تبدأ من حيث انتهى الآخرون .

(١٠) عند حديثها عن تأثر العلة بالعلل الفقهية ، أوردت قولها :

" وقد وصل الأمر في القرن الرابع إلى أن العلل أصبحت تنتزع من كتب الفقهاء كما كانوا يتخذون من كتب النحو مصدراً للفتوى – كما رأينا في نص الجرمي السابق .

قال ابن جني :

" وكذلك كتب محمد بن الحسن – رحمه الله – إنما ينتزع أصحابنا منها العلل لأنهم يجدونها منثورة في أثناء كلامه ، فيجمع بعضها إلى بعض بالملاطفة والرفق " [٣] .

وما ذكرته الباحثة هو ما أورده الدكتور/ مازن المبارك [٤]، وأحال على كتاب " الخصائص " لابن جني ١٦٣/١ ، وكذلك فعلت الباحثة !

(١١) عند حديث الباحثة عن الدور الرائد للمدرسة البصرية في الاهتمام بالعلة قالت :

---

(١) انظر : النحو العربي ص٧٩ – ٩٣ .

(٢) انظر : تعليق ١٦ ص٣٤٨ من مجلة كلية اللغة العربية .

(٣) انظر : ص٣٤٨ من مجلة كلية اللغة العربية .

(٤) انظر : النحو العربي للدكتور/ مازن المبارك ص٧٩، ٨٩، ٩١، ٩٢، ١٢٠ .

" ولعل أول من يلقانا من علمائها هو : عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت ١١٧هـ) الذي يعد بحق أول نحوي بصري ، فقد عنى بالتعليل للقواعد تعليلاً يمكن لها في أذهان تلاميذه ، وجعل تمسكه الشديد بتلك القواعد المعللة ، والقياس عليها قياساً دقيقاً بحيث لا يصح الخروج عليها يخطئ كل من ينحرف في تعبيره عنها " (١) .

وما ذكرته الباحثة هو ما ذكره الدكتور/ شوقي ضيف (٢)، وما ذكره الدكتور/ مازن المبارك (٣)، ولكن الباحثة أحالت إلى كتاب " المدارس النحوية " للدكتور/ شوقي ضيف ، وأغفلت الإحالة إلى كتاب " النحو العربي " للدكتور/ مازن المبارك .

(١٢) أوردت الباحثة ما قاله العلماء عن عبد الله بن إسحاق الحضرمي من أنه : " أول من علل النحو ، وأول من بعج النحو ، ومَدَّ القياس ، وشرح العلل ، وكان أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) ممن يسأله عن العلة من ذلك ما روى الأصمعي عن أبي عمرو قال :

" سمعت أعرابياً يقول : فلان لغوب جاءته كتابي فاحتقرها ، قال : فقلت له : أتقول : جاءته كتابي ، فقال : أليس بصحيفة ؟ " (٤)

وما ذكرته الباحثة هو ما ذكره الدكتور/ مازن المبارك (٥)، وقد

---

(١) انظر : ص٣٤٩ من مجلة كلية اللغة العربية – فرع اسيوط – العدد السابع عشر .

(٢) انظر : المدارس النحوية للدكتور/ شوقي ضيف ص٢٣ .

(٣) انظر : النحو العربي ص٤١ .

(٤) انظر : ص٣٤٩ من مجلة كلية اللغة العربية .

(٥) انظر : النحو العربي للدكتور/ مازن المبارك ص٥٣ .

أحالت الباحثة إلى أغلب المصادر التي أحال إليها الدكتور/ مازن المبارك [١] .

(١٣) أحالت الباحثة إلى ما ذكره الدكتور/ مازن المبارك ص٥٩ من قوله عن الخليل : " وقد كان الخليل من أذكى علمائها ، أسلست له القياد ، ومنحته من علومها ما أراد حتى بلغ بها الغاية " [٢] .

(١٤) ذكرت الباحثة أنَّ أبا البركات الأنباري قال عن الخليل : " بلغ الغاية في تصحيح القياس ، واستخراج مسائل النحو وتعليله " [٣].

وما ذكرته الباحثة هو نص ما ذكره الدكتور/ مازن المبارك، وأحال فيه إلى نزهة الألباء ص٥٥ ، ولم تفعل الباحثة شيئاً سوى إحالتها إلى المصدر الذي نقل عنه الدكتور/ مازن المبارك [٤] .

(١٥) عند حديث الباحثة عن العلة عند الخليل أوردت ما كان من بعض معاصري الخليل عندما سأله عن العلل التي يعتل بها :

" أأخذها عن العرب ، أم اخترعها من نفسه ؟ ففتح بذلك باب العلة النحوية ، وقد جاء كتاب تلميذه سيبويه زاخراً بالكثير من علل شيخه التي حفظها لنا على مر السنين " [٥] .

وقد أحالت الباحثة إلى المدارس النحوية للدكتور/ شوقي ضيف

---

(١) انظر : تعليق ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ من الحاشية .
(٢) انظر : الحاشية رقم ٣٠ من مجلة كلية اللغة العربية .
(٣) انظر : ص٣٥٠ من مجلة كلية اللغة العربية .
(٤) انظر : الحاشية رقم ٣١ من المصدر السابق .
(٥) انظر : ص٣٥٠ من مجلة كلية اللغة العربية .

ص٤٩ والنحو العربي للدكتور/ مازن المبارك ص٥٤ ، مع أن د. مازن المبارك أشار إلى ذلك في أكثر من موضع من كتابه ، غير أنها لم تذكر إلاَّ موضعاً واحداً .

(١٦) عند حديث الباحثة عن العلة عند سيبويه قالت :

" أما سيبويه (ت ١٨٠هـ) فقد توسع في العلل النحوية والصرفية فلكل شئ علته سواء القواعد المطردة ، أو الأمثلة الشاذة ، فثبت بذلك جذور التعليل في النحو والصرف، ومدها في جميع قواعدها ومسائلهما " [١].

وما ذكرته الباحثة هو ما ذكره الدكتور/ شوقي ضيف في كتابه المدارس النحوية " ص٨٢، ٨٦، ٨٧، وقد أحالت الباحثة إليه . ولعمري لا أدري لماذا أغفلت ما ذكره الدكتور/ مازن المبارك عن العلة عند سيبويه حيث تحدث عنها بتوسع كبير[٢] .

(١٧) وصفت الباحثة العلة عند سيبويه بقولها :

" وقد كانت علله – أي سيبويه – شبيهة بعلل شيوخه من قبله خاصة الخليل. فهي بعيدة عن الفلسفة تهتم بالمعنى، وتحقق الغاية من النحو " [٣] .

وما ذكرته الباحثة هو ما ذكره الدكتور/ مازن المبارك في كتابه " النحو العربي " ص٥٧، ٦٣ وما بعدها ، وذلك بعد عرضه لنماذج

---

(١) انظر : ص٣٥٠ من المصدر السابق .

(٢) انظر : النحو العربي للدكتور/ مازن المبارك من ص٥٩ حتى ص٦٧ .

(٣) انظر : ص٣٥١ من مجلة كلية اللغة العربية – فرع أسيوط – العدد السابع عشر .

من تعليلات سيبويه وحكمه على تعليلات شيوخه بما فيهم الخليل بأنها كانت بعيدة عن الفلسفة ، ومع ذلك أغفلت الباحثة نسبة الرأي للدكتور/ مازن المبارك ، وادعته لنفسها .

(١٨) عند حديث الباحثة عن كتاب سيبويه وصفته بقولها :

" ويعد كتابه – أي سيبويه – المشهور أول بحث جامع للعلل النحوية ؛ إذ هو أقدم أثر نحوي مسجل وصل إلينا، فقد رصد فيه علله، وعلل معاصريه من شيوخه الذين روى عنهم " (١) .

وما ذكرته الباحثة هو عين ما ذكره الدكتور/ مازن المبارك وأحالت إليه الباحثة (٢) .

(١٩) ذكرت الباحثة من الكتب المصنفة في العلل في القرن الثالث وما بعده كتابي : " العلل في النحو " لقطرب (ت ٢٠٦هـ) و " علل النحو " لأبي عثمان المازني (ت ٢٤٨هـ) (٣) .

وهذا الذي ذكرته الباحثة هو ما ذكره الدكتور/ مازن المبارك في كتابه : " النحو العربي " ص٦٩، وأحال فيه إلى كتاب " بغية الوعاة " وهو من كتب التراجم وما أحال إليه الدكتور/ مازن المبارك هو ما أحالت إليه الباحثة (٤) .

---

(١) انظر ص٣٥١ من مجلة كلية اللغة العربية .

(٢) انظر الحاشية رقم ٣٤ .

(٣) انظر ص٣٥١ من مجلة كلية اللغة العربية .

(٤) انظر : الحاشية رقم ٣٦، ٣٧ .

(٢٠) أوضحت الباحثة دور المبرد في الاهتمام بالعلة قالت :

" وقد عنى المبرد (ت ٢٥٨هـ) بالعلة أيضًا حتى باتت العلة عنده رديف الحكم النحوي " .

وهو ما ذكره الدكتور/ مازن المبارك ص٦٧، وأحالت إليه الباحثة [١] .

(٢١) أوردت الباحثة نص ما قاله الزجاجي في مقدمة كتابه : " الإيضاح في علل النحو " من أنه : " لم ير كتاباً مفرداً في علل النحو، مستوعباً فيه جميعها ، وإنما يذكر في الكتب بعقب الأصول الشئ اليسير منها مع خلو أكثرها منها " [٢] .

وقد أورد الدكتور/ مازن المبارك في كتابه " النحو العربي " ص٧٠ قول الزجاجي السابق، ونقل طرفاً من " الإيضاح في علل النحو " وعلَّق عليه ، وقد رجعت الباحثة إلى الموضع نفسه في كتاب " الإيضاح " ونقلته دون إشارة إلى كتاب " النحو العربي " للدكتور/ مازن المبارك [٣] .

(٢٢) عند حديث الباحثة عن العلة في كتاب " الإيضاح في علل النحو " للزجاجي وصفته بقولها :

" وقد ظهر في هذا الكتاب أثر الفقه والفلسفة والكلام وغيرها من

---

(١) انظر : ص٣٥١ حاشية رقم ٣٩ .

(٢) انظر . ص٣٥٢ من مجلة كلية اللغة العربية .

(٣) انظر : النحو العربي للدكتور/ مازم المبارك من ص١٠٠ حتى ص١١٧ .

العلوم التي غلبت على مؤلفات عصره ، إلا إنه اهتم بالمعنى ، وكان حريصاً على أن يبقى النحو مستقلاً عما عداه " (١) .

وما ادعته الباحثة هو ما أشار إليه الدكتور/ مازن المبارك ص١٠٥، ١٠٦، ١١٥ حيث كان الدكتور/ مازن المبارك وقفة مع " الإيضاح " لبيان أثر الفقه والفلسفة والجدل على الزجاجي(٢)، إلاَّ أنَّ الباحثة كعادتها غالباً أغفلت ذلك ، وجاء بحثها خلواً من نسبة الرأي لصاحبه .

(٢٣) تحدثت الباحثة عن جهود أبي سعيد السيرافي وموقفه من العلة النحوية بقولها :

" ويشهد على ذلك كتابه الضخم الذي شرح فيه كتاب سيبويه ، فجاء حافلاً بعلله ، وعلل النحاة قبله بأسلوبه الجدلي، وقد جمع بين النحو والفقه والكلام إلاَّ أنه كان يدافع عن النحو وعلله ليخلصه من ريقة المتكلمين والمناطقة .

والدليل على ذلك : المناظرة التي جرت بينه ، وبين متى بن يونس التي كان موضوعها : النحو والمنطق أيهما أدق في معرفة صحيح الكلام من سقيمه ، فظفر بها على مناظرة " (٣) .

وقد أحالت الباحثة إلى الدكتور/ شوقي ضيف في كتابه " المدارس

---

(١) انظر : مجلة كلية اللغة العربية ص٣٥٢ .

(٢) انظر : النحو العربي للدكتور/ مازن المبارك من ص ١٠٠ حتى ص١١٧ .

(٣) انظر : مجلة كلية اللغة العربية ص٣٥٢ - ٣٥٣ .

النحوية " ص١٤٥، والدكتور/ مازن المبارك ص١١٩ ، ومرجع آخر حديث هو : النحو العربي والدرس الحديث للدكتور/ عبده الراجحي .

(٢٤) عند حديث الباحثة عن جهود الأعلم الشنتمري في التعليل قالت : " وقد كان الأعلم الشنتمري (ت ٤٧٦هـ) أول من نهج لنحاة الأندلس هذا الاتجاه نحو التعليل ، فقد كان مولعاً بالعلل الثواني خاصة " [١] .

وما ذكرته الباحثة هو ما أشار إليه الدكتور/ شوقي ضيف في كتابه " المدارس النحوية " ص٢٩٣، والدكتور/ مازن المبارك في كتابه " النحو العربي " ص١٢٦- ١٢٧ ناقلين ماذكره ابن مضاء في كتابه " الرد على النحاة " عن الأعلم الشنتمري وقد أحالت الباحثة إلى الكتاب نفسه [٢] .

(٢٥) ذكر الباحثة أنَّ السهيلي (ت ٥٨١هـ) كان شغوفاً بالعلل، واخترعها على شاكلة الشنتمري .

وما ذكرته الباحثة أشار إليه الدكتور/ شوقي ضيف في كتابه " المدارس النحوية " ص٢٩٩، والدكتور/ مازن المبارك في كتابه " النحو العربي" ص١٢٧ وقد نقلا عن ابن مضاء ما ذكره في كتاب " الرد على النحاة " وقد أحالت الباحثة إلى كتاب ابن مضاء نفسه [٣] .

---

(١) انظر : مجلة كلية اللغة العربية ص ٣٥٥ .

(٢) انظر : الحاشية رقم ٦٥ .

(٣) انظر : الحاشية رقم ٦٦ .

(٢٦) عند حديث الباحثة عند كتاب " الرد على النحاة " لابن مضاء القرطبي، والذي دعا فيه إلى إلغاء نظرية العامل، وإلغاء العلل الثواني والثوالث ، وإلغاء القياس ، وإلغاء التمارين غير العملية ، وإلغاء كل ما لا يفيد نطقاً [١] .

وما ذكرته الباحثة هو ما نص عليه الدكتور/ شوقي ضيف في كتابه " المدارس النحوية " ص٣٠٥- ٣٠٦ والدكتور/ مازن المبارك في كتابه " النحو العربي " ص١٥٣- ١٥٤، وقد أحال إلى كتاب " الرد على النحاة " لابن مضاء القرطبي ، وأحالت الباحثة إلى المصدر نفسه [٢].

(٢٧) تحدثت الباحثة عن دعوة أبي حيان إلى عدم إثقال النحو بالاستقصاء في الأسئلة ، وكثرة العلل للظواهر اللغوية والنحوية وذلك لتعلقه بالمذهب الظاهري [٣] .

وقد أحالت الباحثة إلى كتاب " المدارس النحوية " للدكتور/ شوقي ضيف، وإلى كتاب " النحو العربي " للدكتور/ مازن المبارك [٤] .

(٢٨) ذكرت الباحثة أن السيوطي كان واسع العلم في العربية ، وعلوم الدين وأغزر العلماء المصريين في عصره تأليفا، وقد طبعت مصنفاته بالطابع الجدلي وغلبت عليها طريقة الفقهاء من ذلك كتابه " الأشباه والنظائر" الذي نصَّ في مقدمته على أن السبب الحامل له

---

(١) انظر : مجلة اللغة العربية ص٣٥٦ .

(٢) انظر : الحاشية رقم ٧٠ .

(٣) انظر : مجلة كلية اللغة العربية ص٣٥٧ .

(٤) انظر : الحاشية رقم ٧٣ .

على تأليف هذا الكتاب هو أن يسلك بالعربية سبيل الفقه فيما صنفه المتأخرون فيه ، وألفوه من كتب الأشباه والنظائر، وأنه يشبه كتاب القاضي تاج الدين السبكي في الفقه ، وأقسامه ، وصدره يشبه قواعد الزركشي من حيث إن قواعده مرتبة على حروف المعجم [١] .

وهو ما أشار إليه الدكتور/ شوقي ضيف في كتابه " المدارس النحوية " ص٣٦٣، والدكتور/ مازن المبارك ص١٤٤، وقد أحالت الباحثة إلى مقدمة الأشباه والنظائر [٢] .

(٢٩) أفادت الباحثة أن السيوطي نصَّ في مقدمة كتابه " الاقتراح في علم أصول النحو " أنه رتبه على ترتيب أصول الفقه في الأبواب والفصول، والتراجم ، وأنه استمد مادته من كتاب " الخصائص " لابن جني، وكتاب " لمع الأدلة " و " الإغراب في جدل الإعراب " لأبي البركات الأنباري .

وهو ما ذكره الدكتور/ شوقي ضيف في كتابه " المدارس النحوية" ص٣٦٣ والدكتور/ مازن المبارك ص١٤٣، وقد أحال الدكتور/ مازن المبارك إلى كتاب " اقتراح " للسيوطي، وهو ما فعلته الباحثة حين أحالت هي الأخرى إلى كتاب " اقتراح " للسيوطي [٣] .

(٣٠) عند حديث الباحثة عن موقف العلماء من العلل أوضحت

---

(١) انظر : ص٣٥٧ مجلة كلية اللغة العربية .

(٢) انظر : الحاشية رقم ٧٦ .

(٣) انظر : الحاشية رقم ٧٧ .

أن علل النحو ليست موجبة ، وإنما هي مستنبطة أوضاعاً ومقاييس ، فهي من وضع البشر واختراعهم ، وقد تبين من نص الخليل الذي ذكر فيه صراحة اختراعه لكثير من العلل، ودعا غيره لاختراعها أيضاً [١].

وهو ما أشار إليه الدكتور/ مازن المبارك في كتابه " النحو العربي " ص٨٦، ٨٨، ٨٩ ولم تشر الباحثة لذلك .

(٣١) عند تعليق الباحثة على قول صاحب " المستوفى في النحو" بقولها : " وهذا – أي ما قاله صاحب كتاب المستوفى – يناقض ما نص عليه الخليل بأن العلل مخترعة قابلة للأخذ والرد " [٢] .

وتعليق الباحثة هو نفسه الذي ذكره د. مازن المبارك ص٨٨ في كتابه " النحو العربي " معقباً به على قول صاحب المستوفى ، ولم تنبه الباحثة لذلك ، وذكرته على أنه من كلامها .

(٣٢) ذكرت الباحثة مدى اهتمام ابن جني بأمر العلة ، ودفاعه عنها حيث عقد في كتابه " الخصائص " باباً للرد على من اعتقد فساد علل النحويين لضعفه هو في نفسه عن إحكام العلة ، وذلك لأنه لا يعرف أغراض القوم ، فيرى لذلك أن ما أوردوه من العلة ضعيف واه ساقط غير متعال [٣] .

وماذكرته الباحثة هو ما ذكره د. مازن المبارك في كتابه " النحو

---

(١) انظر : مجلة كلية اللغة العربية – فرع أسيوط – العدد ١٧ ص٣٦٣ – ٣٦٤ .

(٢) انظر : المصدر السابق ص٣٦٥ .

(٣) انظر : المصدر السابق ص٣٦٥ .

العربي " ص١٢٤، وأحال فيه إلى الخصائص ، والباحثة بدورها أحالت إلى ما أحال إليه الدكتور/ المبارك [١] .

(٣٣) وصفت الباحثة دفاع ابن جني، ورده على من اعتقد فساد علل النحويين بقولها : " دفاع دون تعقيب ، فهو يقف موقفاً وسطاً يأخذ من العلة ما يفيد مدافعاً عنها ويطرح منها ما لا يفيد " .

وقد أشار إلى ذلك د. مازن المبارك في كتابه " النحو العربي " ص١٢٢، ١٢٣، ١٢٨، ١٢٩ ولم تشر الباحثة لذلك ، وادعت أنه رأيها الشخصي .

(٣٤) وفي خاتمة البحث خلصت الباحثة إلى بعض التوصيات والنتائج فأوصت بتطويع العلة النحوية لخدمة النحو واللغة كما فعل علماء النحو الأوائل ، لا أن تطغى هي عليه وذلك بالتمحل والتكلف في إيجاد علة لكل شئ علل . طغت عليها الفلسفة والمنطق ، فأضاعت هيبتها وقيمتها ، وجرَّت خلافاً لا طائل تحته وابتعدت عن الغاية من النحو ، لذا وجب العودة إلى كتب التراث ، ونحو القدماء لدراستها ، والعكوف عليها لنستخلص منها ما يفيد في معرفة لغتنا الأم ، وكيفية ضبطها بعيداً عن الفلسفة والفرضيات ، ولنحكم العقل أمام جميع الصيحات التي تنادي بهدم جميع العلل بحجة التيسير والتسهيل ، وأيضاً : الوقوف أمام جميع الصيحات التي تنادي إلى الأخذ بجميع العلل والإغراق فيها مما يؤدي إلى الخلط والوهم .

---

(١) انظر : الحاشية رقم ١٠٤ .

وخرجت من ذلك كله باتخاذ موقف وسط بينهما ، فالتيسير ينبغي أن يكون معول بناء لا هدم ، وأن ينطلق من القديم ليبني عليه الجديد [١].

هذا ما ذكرته الباحثة مدعية أنه رأيها الشخصي الذي خلصت إليه وهو نفسه الذي دعا إليه الدكتور/ مازن المبارك في خاتمة مؤلفه " النحو العربي .. العلة النحوية : نشأتها وتطورها " [٢] .

وفي آرائه المبثوثة في ثنايا كتابه ، ففي ص٩٠ مثلاً بيَّن أنَّ النحوي ما كان ينبغي له إن استعصت اللغة على بعض أحكامه أن يذهب في تأويلها كل مذهب .

كما وصف الدكتور/ مازن في ص٩٧ الزجاجي بأنه : " كان ذكياً في عنايته بالعلل الأُول ، وهي العلل التعليمية ؛ لأنها هي المحققة لغاية النحو ، وهي التي قبلها حتى منكرو العلل كابن مضاء ، ولأنَّه لاحظ أهميتها ، وعرف قيمتها فحاول تمييزها مما كان فلسفة وجدلاً ، وهذا اتجاه فكري جديد أراد به تنقية النحو من سلطان العلوم الأخرى .

وفي ص١٣٠ ذكر أن البحث في النحو قد انتقل من مرحلته الطبيعية الأولى إلى مرحلة تعقيدية بعيدة عن الفطرة ، وعن الحس اللغوي ، وهي مرحلة الاستقصاء وتتبع العلل والغوص في مقتضيات النظر الفلسفي وهذا ما كان يود لو أن النحويين تجنبوه ، ولم يغرقوا فيه .

كذلك في ص١٥٦ ذكر أنَّ لابن مضاء آراء نافذة كمراعاته لغاية

---

(١) انظر : مجلة كلية اللغة العربية – فرع أسيوط – العدد ١٧ ص٣٦٥ .

(٢) ط. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت – الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

النحو الأصلية والعناية بما يكفل تحقيقها ، وأن غاية النحو – في رأي الدكتور المبارك – أن يصل بنا إلى معرفة كلام العرب والتكلم على سمته ...

ومحاولة ابن مضاء تساعد على ذلك ، وتجنب سبيل الفلسفة النظرية العقيم .

وبعد .. فهذا ما أردت إظهاره ، وما حرصت على إبرازه إحقاقاً للحق وإعطاء كل ذي حق حقه ، إن أريد إلاَّ الإصلاح ما استطعت . وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ..